الحياة الدينية والعلمية والثقافية في منطقة بهدينان ودورها في نشر العلم

سميان عبدالخالق سعدي

جامعة زاخو/ كلية العلوم الإنسانية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:
مما لا شك فيه ان للقبيلة وهياكلها تأثير كبير في البنية الفكرية والاجتماعية والسياسية لسكان المنطقة الكردية عامة ، والمجتمع البهديناني خاصة . فمنطقة بهدينان(= بادينان) موضوعة البحث لها خصوصيتها في هذا المضمار، فمجتمعها يضم عدد كبير من العشائر الضاربة التي لها سجل حافل في جميع مجالات الحياة المختلفة ، فعن طريق التنظيم القبلي استطاعت هذه العشائر أن تحافظ على النسيج الاجتماعي للمجتمع الكردي طيلة عشرات القرون في وجه الغزاة، وهذا ما أدى إلى المحافظة على القيم والأخلاق والمرتكزات التي لا يخلو منها أي مجتمع إنساني يحاول أن يتقدم نحو الأمام ، لذا لا نجد مندوحة من القول بان المجتمع القبلي في منطقة بهدينان الذي يمتد جغرافيا من الحدود العراقية التركية شمالا حتى نهر دجلة جنوباً، ومن نهر الزاب الكبير شرقا حتى الحدود العراقية السورية غرباً فهو مجتمع فريد من نوعه لوجود بعض الخصائص فيه التي قد لا تتوفر في مجتمعات قبلية كردية أخرى مجاورة ، فالدين والشعائر الإسلامية متأصلة فيه حتى النخاع، وهذا ما ولد فيه فكر إسلامي متوازن وسطي – بالمفهوم المعاصر– بعيد عن التشدد ، يجمع بين الأصالة الإسلامية البعيدة عن البدع والمنكرات، وبين جانب روحي بعيد عن الشعوذة والدجل الى حد ما ، فرغم وجود عدة طرق صوفية فيه كالقادرية التي لها مراكزمنها في قرية بريفكا حيث مزار الشيخ نورالدين البريفكاني، وقرية روفيا (= جنوب عقرة) حيث مزار الشيخ إسماعيل الولياني ، ومرقد الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبدالقادر الكيلاني في مضيق عقرة، فضلا عن النقشبندية التي لها مركزين رئيسيين في تكية بامرني الواقعة (غرب العمادية)، وتكية بارزان، إلا أن الفكر الصوفي لم يسود عموم المنطقة لقربها من مدينة الموصل التي لها مدارس دينية عديدة كانت تعتمد في مناهجها على الكتاب والسنة، ولان غالبية أقضية بهدينان كانت تابعة لها إداريا منذ العهد العثماني، واستمر ذلك طيلة العهد الملكي والجمهوري الى ٢٧ مايس سنة ١٩٦٩م، عندما صدر قرار مجلس قيادة الثورة العراقي بجعل مدينة دهوك مركز محافظة تضم غالبية الاقضية الكردية المرتبطة سابقاً بمحافظة نينوى .واما المذهب البارز والأكثر اتباعا في بادينان وكردستان عموما فهو المذهب الشافعي .وليكون بحثنا اكثر فائدة سنقسمه الى ثلاث مباحث وكما يلي :المبحث الأول :علماء هكاري واهم المدارس في بادينان والمبحث الثاني :المؤسسات الدينية (المساجد،)واماالمبحث الثالث : التكايا الصوفية في بهدينان، ثم ختمنا بحثنا باهم النتائج التي توصلنا اليها

المبحث الأول :علماء هكاري واهم المدارس في بادينان.

سنختار في هذا المبحث علمين فقط للإشارة الى علمهم وفضلهم على كردستان وكما يلي :

أولا :شيخ الإسلام الهكّاري وهو الشيخ الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكّاري، الذي ينتهي نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان الأموي (٤٠٩-٤٨٦هـ/١٠١٨-١٠٩٣م)و تاج العارفين أبو الفضل عدي بن مسافر الأموي الهكاري (٤٦٧-٥٥٥هـ/١٠٧٥-١١٦٠م)،
فاماشيخ الإسلام الهكّاري وهو الشيخ الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكّاريفقد كان رجلا كان صالحاً زاهداً ربانياً، قدِمَ إلى بلاد الكرد واستوطن قرية (دارش– ديرش) الواقعة في جنوب شرق مدينة العمادية في بلاد هكاري(= برى كاره)، وبنى هناك أربطة ومواضع يأوي إليها الفقراء والصالحون، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، كما كان شافعياً في الفروع، وله عناية بالأثر وله تأليف كثيرة، وكان أقرب ما يكون إلى الزهد وبمان ان بضاعته في علم الحديث قليلة جدا فقد وقع في أسانيده أوهام، لذا شدد علماء الجرح والتعديل على عدم قبول رواياته، وقالوا بأن في حديثه متون موضوعة مركبة على أسانيد صحيحة[١].تتلمذ عليه الكثيرون، ونقل من كتبه عدد من أهل العلم، وأثنى عليه الأئمة من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الذهبي.قضى مدة كبيرة من عمره بين الكرد، و(تكرّد) أبناؤه من بعده، وكان منهم الفقهاء والأمراء، وتقدم بعضهم لدى سلاطين وملوك بني أيوب، وكان للمدرسة (= الزاوية) التي أسسها في قرية (ديرش) دور كبير في نشر المذهب الشافعي بين الكرد في بهدينان، لا سيما أن أهل المنطقة كانوا – ولا يزالون– يجلوّنه، وينظرون إليه على أنه من الأولياء الصالحين من ذوي الكرامات والمناقب.وثاني المشايخ البارزين من الشوافع الذين كان لهم دور كبير في نشر المذهب بين الكرد هو تاج العارفين أبو الفضل عدي بن مسافر الأموي الهكاري (٤٦٧-٥٥٥هـ/١٠٧٥-١١٦٠م)، ولد في بلاد الشام ونشأ بها، ثم ساح في البلاد لطلب العلم وجاور بالمدينة أربع سنوات، ثم دخل بغداد واجتمع بزهادها من أمثال الشيخ عبد القادر الگيلاني، وعقيل المنبجي، وأبي محمد الشنبكي الكردي، وسكن الموصل وأربيل زمناً، ثم قصد جبال هكّاري (منطقة بهدينان) واتخذ له زاوية في وسط وادٍ عميق يدعى (لالش)، وانصرف للإرشاد والتدريس، فاجتمع عليه أكراد المنطقة وأحسنوا فيه الاعتقاد[٢].كان الشيخ عدي على طريقة السلف في الاعتقاد، كما يظهر من رسالته (إعتقاد أهل السنة والجماعة) وكان قد تفقه على المذهب الشافعي في الفروع، وبه اقتدى أتباعه ومريدوه، الذين عرفوا فيما بعد بالعدويين، وأخيراً باليزيديين– الايزيديين ... وقد أثنى عليه كبار مشايخ

أهل السنة من أمثال: الشيخ عبد القادرالگيلاني(المتوفى سنة٥٦١هـ/١١٦٦م)، وشيخ الإسلام ابن تيمية(المتوفى سنة٧٢٨هـ/١٣٢٨م، والإمام الذهبي (المتوفى سنة٧٤٨هـ/١٣٤٧م) والحافظ ابن كثير المدشقي(المتوفى سنة٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، وغيرهم.وهذان الشيخان الهكاريان، وإن لم يُعَدّا من طبقة الفقهاء، إلا أنه كان لهما – ولا شك– دور كبير في نشر المذهب الشافعي بين أتباعهما من الكرد، وذلك من خلال زاويتيهما في(ديرش) و(لالش) اللتين كانتا بمثابة مدرستين لنشر العلم والزهد والسلوك، وكذلك عن طريق من جاء بعدهما من فقهاء وعلماء أسرتيهما.

ثانيا : المدارس الدينية من جانب آخر فقد انتشرت منذ العهد العباسي المدارس المستقلة والملحقة بالمساجد في أغلب المدن والقصبات بل وحتى في القرى النائية في كردستان عامة وبهدينان خاصة، وكانت غالبية هذه المدارس أهلية تُنشأ وتُدار طواعية من قبل علماء ومشايخ من الكرد (ومن غيرهم) ممن ساحوا في البلدان ورحلوا في الآفاق طلباً للعلم من الأئمة المشهورين في البلدان الإسلامية كبغداد ومصر والشام والحجاز وغيرها، حتى استووا ونالوا الإجازات، فرجعوا إلى موطنهم، وأسسوا المدارس بدعم من الأمراء الصالحين أحياناً، ومن أهل الخير وعامة الناس غالباً، وما زرعوه من الخير والعلم في حلقاتهم العلمية آتى أكله، حيث التفتت حولهم أعداد غفيرة من طلبة العلوم، ينهلون من علومهم وثقافتهم، ويأخذون منهم الإجازات والأسانيد، ويروون عنهم الكتب والأجزاء، ليقوموا هم –بدورهم فيما بعد– بسلوك نفس السبيل. وبهذا قامت تلك المدارس على مدى قرون طويلة بأداء دور بارز داخل المجتمع الكردي على الصعيد العلمي والثقافي والاجتماعي عموماً.ويبدو أن المدارس الكردية تلك تأثرت كثيراً منذ بداياتها بطريقة التدريس المتبعة في المدارس النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك(ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، لاسيما من ناحية اختيار مذهب ابو الحسن اسماعيل الأشعري(المتوفى سنة٣٢٤هـ/٩٣٦م) للتدريس كمادة لأصول الدين، واعتباره مذهب أهل السنة والجماعة، واختيار المذهب الشافعي كذلك للتدريس كمادة للأصول والفروع الفقهية، إضافة إلى الاهتمام الكبير بمواد الصرف والنحو و البلاغة، لغرض إعداد عالم كردي يجيد أساليب العربية بإتقان، ويتمكن من فهم النصوص الشرعية الواردة بالعربية، وعليه كان علماؤنا يسمون هذه العلوم بعلوم الآلةوالسبب المباشر في تأثر المدارس الكردية بالمدارس النظامية يعود في حقيقة الامر إلى تتلمُذِ غالبية العلماء الكرد الذين أسسوا المدارس وأجازوا الطلاب على مشايخ درسوا ودرّسوا في المدارس النظامية، ويبدو ذلك واضحاً من سلسلة إجازات وأسانيد العلماء الكرد، إذ تنتهي إجازات أغلبهم إلى علماء من أمثال: إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ/١٠٨٥م)))، وأبي حامد الغزالي (المتوفى سنة٥٠٥هـ/١١١١م)، والفخر الرازي (المتوفى سنة٦٠٦هت/١٢١٠م ، وكان هؤلاء من المشتغلين بعلم الكلام، والمتبعين للمذهبين الأشعري في الأصول والشافعي في الفروع.وهذا يعلل لنا مسألة انتشار هذين المذهبين بين العلماء الكرد وفي المدارس الكردية كمسألة منهجية صعوداً من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وإلى يومنا هذا.إذاً فالمدارس الرسمية وغير الرسمية التي انتشرت في ربوع كردستان عامة وبهدينان خاصة، اعتمدت المذهب الشافعي كمذهب رسمي منذ ما يقارب تسعة قرون، وطالما كتبت المصنفات الفقهية على هذا المذهب ودرّست في جنبات تلك المدارس، وطالما تخرج في حلقات هذه المدارس العلماء والقضاة والمفتون الذين انتشروا في أقطار العالم الإسلامي ونشروا معهم هذا المذهب، حتى غدا اسم الكرد في أذهان المسلمين مقروناً بالمذهب الشافعي وعندما نطالع الكتب التي أرّخت للمذهب الشافعي، وذكرت كتب المذهب في الأصول والفروع، نجد أسماء عديدة كان أصحابها من الكرد أو الساكنين في بلاد الكرد، والمتخرجين في مدارسهم، مما يعني أن بصمات العلماء الكرد كانت ولا تزال واضحة في هذا المضمار، وأحب أن أشير هنا إشارة عابرة إلى أسماء بعض المشهورين من هؤلاء العلماء القدامى والمحدثين منهم، على سبيل المثال لا الحصر كما قلت:المفسر شهاب الدين أحمد بن أحمد الهكاري (ت ٧٦٤هـ/١٣٤٥م).ـ

ـ شيخ مشايخ العراق الملا يحيى المزوري (ت ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م).ولعبت المدارس في بادينان دوراً مهماً وبارزاً في نشر العلوم والثقافة، وكان لاهتمام الامراء بهذه المدارس وتشجيع العلم ومساعدة العلماء والاساتذة الذين كانوا يدرسون فيها أثره الكبير في زيادة أهمية المدارس في الامارة، وخاصة في ئاميدي مركز الحضارة في منطقة كوردستان كما يقول البدليسي[٣]. ويذكر العزاوي ان ئاميدي وانحاءها الاخرى لم تكن تخلو من مدرسة أو جامع فهي محل الثقافة والمعرفة، وتخرج منها العلماء الذين ساهموا في نشر العلم والثقافة[٤] ، وكان الكثير من هذه المدارس هي مساجد في آن واحد ومن أهم المدارس التي كانت موجودة في مدة البحث ما يأتي:

١– مدرسة قوبه هان – قوبان– قوبا:لقد كانت هذه المدرسة من أشهر المدارس في بادينان، وتقع في شمال غرب قلعة ئاميدي، في الوادي المسمى بـ(روبارئاميدي) بين سولاف وئاميدي، أي انها تقع خارج المدينة، ولاتشير المصادر الى تأريخ محدد لتأسيس هذه المدرسة، الا انه يعتقد ان تأريخها يعود الى أوائل نشوء الامارة[٥].لقد اختلفت الآراء في أصل تسمية المدرسة، فيذكر البعض انها سميت بقوبهانلانها كانت تحوي على عدة قباب، بينما يذكر البعض الآخر ان التسمية جاءت من الامير قباد بك بن سلطان حسين ولي[٦].وعلى الرغم من أن اسم قوبهان هو المعروف عن هذه المدرسة، الا انه جاء في بعض الوثائق التي يعود تأريخها الى القرن السادس عشر، انه قد وردت هذه المدرسة باسم (محمد

باقر) وذلك لكونها تقع بالقرب من ضريح محمد باقر الملقب بالامام يوسف الذي سبق وان درس فيها[٧].ان بناية المدرسة كانت آية من آيات الفن المعماري، فهي ذات هندسة معمارية رائعة[٨]، وتميزت بدقة هندستها واسطواناتها واستقامتها[٩]. وكانت للمدرسة مكتبة تحوي العديد من المؤلفات من مختلف العلوم، اذ امدها امراء ئاميدي بهذه الكتب، وجلبوا اليها نوادر المخطوطات واوقفوا عليها المجلدات من الكتب التي كانوا يوكلون استنساخها الى أمهر النساخين واحسنهم خطاً[١٠]. وجاء في كتاب (مخطوطات الموصل) ان مكتبتها كانت تضم الى أواخر عهدها أكثر من الفي كتاب، وكان أكثرها من وقف السلطان حسين ولي، وعليها ختمه[١١]. وكان تعد الى هذه المدرسة اعداد كبيرة من طلاب العلم من مختلف أنحاء كوردستان وحتى من خارج كوردستان وذلك للدراسة فيها لما كانت تتمتع بها المدرسة من مؤهلات علمية، وكان للمدرسة علاقات وثيقة مع جامعة الأزهر في مصر.لقد كانت لهذه المدرسة واردات واوقاف ثابتة، يصرف ريعها على الطلاب والمدرسين وتوفير احتياجات المدرسة، ومن هذه الاوقاف وحسبها وردت في وثيقة عن هذه المدرسة يعود تأريخها الى سنة ١٦٧٠م، بعض الدكاكين في وسط سوق ئاميدي، وأراضي ديم عوجان وكولانا ترخيتكي وسه رى صوريا ومطلاوش، وهذه بساتين في غرب ئاميدي ومن القرى ديره لوك و مه زبوغيرهما[١٢]. وجاء في (الفردوس المجهول): ان حمل مائة جمل من الدقيق كان يأتيها من أيران[١٣]. وقد درس وتخرج في هذه المدرسة العديد من العلماء من جميع انحاء بادينان بل من خارج الامارة أيضاً[١٤].

٢- مدرسة سيدي خان:ان هذه المدرسة كانت تقع في ئاميدي نفسها في أقصى جهتها الشمالية وقد عرفت بأكثر من اسم، فكانت تعرف أولاً بالمدرسة الزاهدية، اذ أسستها الاميرة زاهدة في النصف الاول من القرن الرابع عشر[١٥]. وفي سنة ١٦١٥م جددها الامير سيدى خان، فعرفت باسمه الى اوائل القرن التاسع عشر، ثم عرفت بالمدرسة الجديدة، أو مدرسة ملا يحيى المزوري فيما بعد، نسبة الى العالم الديني ملا يحيى المزوري، الذي كان من أبرز مدرسيها في النصف الاول من القرن التاسع عشر[١٦]. وجاء في (مخطوطات الموصل) ان خزانة كتبها كانت تحوي أكثر من ألف كتاب[١٧].لقد كان تفد الى هذه المدرسة مئات من طلاب العلوم الدينية، من كافة انحاء كوردستان، وذلك للدراسة فيها[١٨] ، وممن تخرج منها واخذ الاجازة العلمية من مدرسها ملا يحيى المزوري: العالم ملا احمد الحاج ابراهيم كونبديالكويي في سنة ١٨٢٥م[١٩].

٣- مدرسة الامام قاسم:يذكر العباسي انه تم بناء هذه المدرسة من قبل الامير غياث الدين قاسم بن بهاء الدين في سنة ١٣٨٢م[٢٠]، والمدرسة تقع في داخل ئاميدي وكانت تحوي العديد من الكتب في شتى العلوم[٢١].

٤- مدرسة مراد خان:تقع المدرسة في ئاميدي نفسها، بالقرب من الباب الشرقي للمدينة، والمعروف بباب الزيبار، ومؤسس المدرسة هو الامير مراد خان بك، وذلك في منتصف القرن السابع عشر[٢٢]. وكان في خزانة كتبها عدد من الكتب المختومة بعبارة: (الواثق بالله المنان على عبده مراد خان)[٢٣].

٥- مدرسة الميدان:من المدارس القديمة في ئاميدي وسميت بالميدان نسبة الى محلة الميدان في الجزء الجنوبي من المدينة[٢٤].

٦- مدرسة الجامع الكبير في ئاميدي:كانت هذه مدرسة وجامعاً في آن واحد، وقد تخرج منها الكثير من الائمة في عهد الامارة[٢٥].

٧- مدرسة مايى:شيدت هذه المدرسة في قرية مايى في منطقة برواري بالا، بأمر من الامير قباد بك ابن سلطان حسين ولي، وكانت من المدارس المشهورة في مدة البحث، وتخرج منها العديد من العلماء[٢٦].

٨- مدرسة شرانش:تقع المدرسة في منطقة سندي بزاخو، وقد اشتهر العديد من خريجي هذه المدرسة منهم ملا طه والشيخ احمد الشرانشيوغيرهم[٢٧].

٩- مدرسة بريفكان:شيدت المدرسة في عهد الامير سيد خان بك، وكان من أبرز مدرسيها الشيخ شمس الدين قطب[٢٨].

١٠- مدرسة ئاكرىَ:تقع هذه المدرسة في محلة السراي بمدينة ئاكرى، أسسها السلطان حسين ولي في قرن السادس عشر[٢٩].فضلاً عن المدارس السابقة كانت هناك مدارس اخرى في مدة البحث منها مدرسة قرية روس الطلية في زاخو، ومدرسة في زاخو نفسها ومدرسة في دهوك ومدرستان في بامرني ومدرسة في قرية كيسته في برواري بالا، ومدرسة اسبينداروغيرها[٣٠].

المبحث الثاني : المؤسسات الدينية (المساجد،)

يمكن القول أن حدود محافظة دهوك تكاد تنطبق على حدود منطقة بهدينان، ولما كانت محافظة دهوك تضم ستة أقضية وهي حسب الترتيب: دهوك، زاخو، العمادية، عقرة، سيميل ، به رده ره ش. وانطلاقاً مما تقدم، فان منطقة بهدينان تضم نفس الاقضية المذكورة آنفاً.

تضم محافظة دهوك حوالي : ١٢٠٥ مسجداً، صلاة الجمعة تقام في: ٨٠٠ مسجد فقط

١- قضاء دهوك يضم: ١٦٤ مسجداً، صلاة الجمعة تقام في: ٧٣ مسجداً فقط.

٢- قضاء زاخو يضم: ١٩٢ مسجداً، صلاة الجمعة تقام في: ١٠٨ مسجداً فقط.

٣- قضاء العمادية يضم: ١١٤ مسجداً، صلاة الجمعة تقام في: ٨٢ مسجداً فقط.

٤- قضاء عقرة يضم: ٣٢٢ مسجداً، صلاة الجمعة تقام في: ٢٠٣ مسجداً فقط.

٥- قضاء سيميل يضم: ٧٧ مسجداً، صلاة الجمعة تقام في : ٧٥ مسجداً فقط.

٦_ قضاء بردرش يضم: ١٦٢ مسجداً، صلاة الجمعة تقام في ١٠٥ مسجداً فقط.

وسنتطرق الى اهم المساجد وكالاتي :

١. **جامع دهوك الكبير**يعتبر جامع دهوك الكبير من المساجد التاريخية الأثرية، في كردستان العراق، ولقد بني عام ١٠٩٥ هـ/١٦٨٤م، من قبل الحاج أبو بكر بن محمد العمادي، ويقع في مركز مدينة دهوك في السوق العصري، ويبلغ مساحته ٢٥٠٠ متر مربع، وكان بناءه في السابق يشبه بناء جامع الحيدرخانة في بغداد، من حيث الفن المعماري، ولقد تم تعميره وصيانته في عام١٣٩١ هـ/١٩٧١م من قبل وزارة الأوقاف العراقية، والجامع تقام فيه صلاة الجمعة والصلوات الخمسة، ويعد الجامع مدرسة ومركز ديني لدراسة العلوم الفقهية والشرعية.ومن أشهر العلماء الذين شغلوا منصب الامامة فيه:

_الملا الحاج محمد الامام بن ملا عمر دهوكي، كان مدرساًواماماً وخطيباً في جامع دهوك في أواخر سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، وتوفي في طريق الحج في المرة الثانية سنة١٣١٢هـ/١٨٩٤م.

_الملا داود الكركوكي،حضر الى دهوك في صحبة خاله الذي كان مديراً للمال، فاشتغل ملا داود طالباً للعلم ثم عين معلماً في المدرسة الابتدائية الرسمية، وهو أول معلم تعين في دهوك في العهد العثماني، ثم ترك سلك التعليم وعين اماماً في جامع دهوك من قبل دائرة الاوقاف، وكان يحسن اللغة التركية والعربية نطقاً وكتابةً، توفي سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م[٣١].

_الملا طه بن الحاج الملا محمد الامام بن ملا عمر الدهوكي، كان اماما ومدرسا في جامع دهوك، ووكيلاً للوقف سنوات عديدة، وكان عالماً في علم الفرائض(= قسمة المواريث)، ثم عين كاتباً في المحكمة الشرعية في دهوك. فترك التدريس طوال فترة عمله في الوظيفة المذكورة في العهدين العثماني والعراقي، توفي سنة١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

_ ملا محمد عبد الخالق عقراوي. هو من أعلم الفضلاء والمحققين في عصره كان قديراً في العلوم العقلية والنقلية، أخذ الشهادة من العلامة ملا محمد أفندي الجلي في مدرسة كويسنجق، تعين مدرساً وإماماً و خطيباً في جامع دهوك سنة ١٩٣٧م، وجلس على كرسي التدريس وأتته الوفود الطلابية في أرجاء المنطقة للأغتراف من ينابيع علمه وتخرج عليه جمع غفير من العلماء وأجاز الكثيرين توفي في مدينة دهوك ١٩٦٩/٦/٢٦م/١٣٧٩هـ.

٢. **جامع زاخو الكبير** من مساجد العراق الأثرية القديمة، حيث تم بناءه في عام ٢٠ هـ/٦٤١م، في أول دخول الإسلام إلى العراق، ويقع في مدينة زاخو في منطقة إقليم كردستان العراق، وتبلغ مساحة الجامع حوالي ٤٥٠٠ متر مربع، ويحتوي الحرم على مصلى واسع يتسع لأكثر من ١٠٠٠ مصل، وتعلو المبنى قبة خضراء قديمة، مع منارة لمئذنة عالية شيدت حديثا.وتقام في الجامع صلاة الجمعة وصلاة العيد والصلوات الخمس.ويحتوي الجامع على مبنى مدرسة دينية درس فيها الكثير من علماء منطقة كردستان العراق.وكان يقصد المدرسة طلاب المدن المجاورة مثل ديار بكر، وغيرها، حيث يكتظ المكان في وقتها بطلاب العلم ولقد تحول مكان المدرسة فيما بعد إلى مكان آخر قرب جامع الجودي، وعلى ضفاف نهر الخابور.وجرى هدم الجامع القديم عام ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م، وأعيد بناءه في نفس العام ، وكانت هناك مدرسة ملحقة بجامعها الكبير[٣٢]، ومن آثارها الخطية التي وصلتنا حاشية على مختصرالتفتازاني على تلخيص (المفتاح) للقزويني، نسخها فيها إبراهيم بن ملا جندي بن حسين بن إبراهيم، ومنها تعليقات وحواش في علوم عدة، ألفها العلامة محمود البهوسي، تلميذ حيدر الماوراني، وكان مدرساً فيها، وقد توفي في حدود سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م[٣٣]وأحمد بك العباسي(ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م)، وقد تولى التدريس في جامعها طول حياته[٣٤]، والملا شريف السليفاني، وتولى التدريس في أحد مساجد زاخو[٣٥].ومن مدرسيها المتأخرين : الملا احمد العباس، كان اماما ومدرساً في جامع زاخو، وكان عالما فاضلاً ورعا على جانب كبير من التقوى، توفي في مدينة زاخوسنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.والملا يونس طه سليفانيزاخويي ، كان اماما في جامع زاخو لفترة وجيزة، توفي في مدينة زاخو سنة ١٩٢٣م بعدها تولى الامامة والخطابة والتدريس الملا احمد عبد الخالق العقري، قادماً من قرية اسبندارىرواري زير، بعد الحاح أهل زاخو، وكان من كبار العلماء، أكمل دراسته في أربيل و كركوك و كوي سنجق وأخذ الشهادة العلمية من ملا محمد أفندي الكويى، أشتغل بالتدريس والأمامة في بارزان، ثم في العمادية أبان الحرب العالمية الأولى ثم في قرية اسبندارىرواري زيري،

وأخيراً أستقر به المقام في زاخو، تخرج عليه من العلماء الأعلام ما ينوف عددهم على الخمسين عالماً. توفي سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م في مدينة زاخو.بعدها تولى الامامة والخطابة والتدريس الملا إسماعيل نعمة الله نافشكي دوسكي من سنة ١٩٥٩- لغاية سنة ١٩٧٥م، حيث نقل الى جامع دهوك

٣. **جامع العمادية** يعتبر من اهم المعالم الأثرية التاريخية في كردستان العراق، بمنطقة العمادية في محافظة دهوك، حيث شيد عام ٥٣٧هـ في عهد السلطان عماد الدين زنكي، ، وفي عام ١١٥٣م، تم إعادة بناءه، ويقصده السائحون من مختلف انحاء العالم، لما له من قيمة أثرية مهمة، وفيه منارة تاريخية شيدت في زمن السلطان حسين الوالي، قبل ستة قرون، ويبلغ أرتفاعها ٣٠ مترا، وعرض قاعدتها ٣ أمتار، ولها باب بطول متر ونصف، ولها نوافذ صغيرة، ويصعد إليها بمائة وثلاث درجات مبنية من جدار المنارة، وتبلغ مساحة الجامع الكلية ٢٠٠٠ متر مربع، ويحوي على حرم كبير يتكون من أقواس وقباب بنيت من الصخر والجبس والطين وينقسم الحرم إلى قسمين علوي وسفلي، حيث بني الجزء العلوي أيام السلطان حسين الوالي، وفي الحرم يوجد مصلى خاص بالنساء.وفي الجامع مدرسة تسمى مدرسة قوباد وهي من أكبر مدارس المنطقة في وقتها، حيث كانت تدرس فيها مختلف العلوم الدينية والفقهية وعلوم اللغة العربية، ولقد جدد بناءها السلطان حسن الوالي واضاف إليها خمس غرف منام للطلاب وغرفتين للاساتذة، وشيد في جنوبها مسجد يمتاز بناؤه الهندسي بالأقواس والقبب.وأنشأ في المدرسة مكتبة تحوي الكثير من المراجع والكتب الفقهية ومازالت المدرسة باقية بهندستها المعمارية الجميلة، بعد عمر ناهز ٦١٥ عاماً.

٤. **جامع عقرة الكبير** يعتبر من المساجد القديمة التاريخية التي بنيت بعد فتح العراق وإنتشار الإسلام وبني في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، سنة ٢٠ هـ، وتم بناء مدرسة دينية قرب الجامع، وتبلغ مساحة الجامع أكثر من ٣٠٠٠ متر مربع، وجرى تعميره وترميمه عدة مرات آخرها في عام ١٩٦٥م، وبأشراف وزارة الأوقاف العراقية، وبمساعدة أهالي عقرة، ومن أشهر العلماء الذين تولوا الإمامة والخطابة في الجامع :

_ الشيخ إبراهيم بن الحاج محمد رشكهحسب المعلومات المتوفرة.

_ الملا طه الخطيب كان امام الجامع حوالي سنة:١١٨٨هـ/١٧٧٤م وما بعدها، وملا طه هذا هو الذي صحب الرحالة الكردي (طه بن يحيى بن الأمير سليمان الباليسانيالخوشناويالباليساني) إلى مجلس أمير شوش يحيى بك، ومن الراجح أنه صحبه، مع الكتخدا علي إلى الديار المقدسة في الحجاز ، وكان مفتي مدينة عقرة آنذاك ملا محمد المفتي، نوه الباليساني به وبأبيه، ووصفه بعبارة لا يتضح منها إن كانت بحقه أو بحق أبيه، فقال: "دخلنا عِشاء إلى قرية الشيخ الصالح الكريم العارف، والد مفتي عقرة، الفاضل العلامة، المرحوم ملا محمد، وذكر أنه توفي في البقيع سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م. وفي سنة ١٩٠٣م نال الملا محمد بن الملا احمد بن الملا محمد بن الملا احمد بن الملا ياسين بن الملا ابراهيم الاجازة العلمية على يد الملا محمد بن ملا عبدالله جلي زادة الملقب (محمد كوي) في الجامع الكبير في مدينة كويسنجق، وتم تعينه في نفس السنة إماماً ومدرساً لجامع عقرة الكبير حسب فرمان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.وفي سنة ١٩٤١م توفي في عقرة الملا محمد بن الملا احمد الامام العقري، وتم تعيين نجله الملا احمد إماماً ومدرساً في جامع عقرة الكبير، واستمر في وظيفته الى أن وافاه الاجل في ٢٠١٣/١/٩م. ومن مدرسيها المتأخرين مفتي عقرة هبة الله بن محمد سعيد بن عبدالرحمن بن يحيى المزوري (١٢٩٧-١٣٥٧هـ/١٨٧٩-١٩٥٥)، وكان مدرساً رسمياً للوقف في جامعها و ذلك قبل أن يتولى الإفتاء فيها[٣٦]، والملا أحمد بن ملا عبدالخالق العقري (ت ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، وكان من كبار العلماء المدرسين[٣٧].وفي الوقت الحالي يحوي الجامع مدرسة دينية رسمية يديرها السيد منيب احمد الإمام وبجوارها معهد للعلوم الإسلامية يمنح شهادة دبلوم، وكان يديرها الشيخ عبد الله أحمد محمد الإمام رحمه الله تعالى ، ولجامع عقرة شهرة عالمية حيث يزوره الكثير من العلماء وطلاب العلم، بالاضافة الى كونه رمز حضاري قديم يعود تاريخه إلى أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان. وتقام فيه حالياً صلاة الجمعة والعيدين والصلوات الخمس. وهناك مساجد كثيرة في محافظة دهوك قديمة لها أهمية كبيرة ،ساختار بعضا منها لبيان تاريخها واهم العلماء الذين تولوا الامامة والخطابة والتدريس فيها منها :

١. مسجد الريكان: مسجد قديم في مدينة دهوك، لا يعلم بالتحديد تاريخ بنائه، عمل الملا عبدالحميد ملا طاهر الخروي مدرساً وإماماً، وكان عضواً في محكمة دهوك في العهد العثماني، وكان قد حصل على الشهادة العلمية من عبدالله الأفندي الجلي في لواء أربيل ، كان عالماً فاضلاً عارفاً بكثير من العلوم وخاصة علوم الدين، توفي سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٩م ودفن في مقبرة دهوك. وأعقبه الملا ياسين البريفكاني، توفي في مدينة الموصل سنة١٩٠٦م ،وأعقبه الملا سليم أفندي زاويتي العمري، الذي توفي في مدينة دهوك سنة١٣٣٥هـ/١٩١٦م، ونقل جثمانه الى قرية بريفكانحسب ووصيته ودفن في مقبرة السادة، جاء بعده ملا صالح بابوخكي الذي عمل اماما في المسجد لفترة طويلة، الى أن توفي في مدينة دهوك سنة ١٩٨٠م.

٢. مسجد الحاج مصطفى، في سنة١٣٢٠هـ/١٩٠٢م بنى الحاج مصطفى الدهوكي مسجداً في مركز مدينة دهوك، يقع في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة على مقربة من مزار الشيخ محمد بريفكيدهوكي، وكان المذكور قد آلى على نفسه إذا شفاه الله من مرضٍ عضال ألم به، أن يبني مسجداً لله، وهذا المسجد يطلق عليه في الوقت الحاضر مسجد الحاج مصطفى وهو يقع على الشارع الرئيس في دهوك الواقع في مركز المدينة. تولى الامامة فيها الملا طه البريفكاني، توفي سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م. ثم تولى الامامة فيه الملا عبد الهادي المفتي، توفي سنة ١٩٩٤.

٣. مسجد المفتي: مسجد يقع في مدينة دهوك، بني من قبل اسرة مفتي دهوك، تولى الامامة فيها الملا محمد بن عبد الرحمن بروشكي المتوفى سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، أعقبه الملا صالح كمكي، بعدها تولى الامامة ملا سهام السليفاني، ثم الملا عصمت نافشكي دوسكي.

٤. مسجد أتروش:اتروش– احدى نواحي قضاء دهوك، ازدهرت الحياة الثقافية فيها منذ القرن الحادي عشر للهجرة /١٧م في اقل تقدير وانشئت فيها مدرستان علمية سنة ١١٧٥هـ/١٧٦١م وصوفية ونالت القرية شهرة واسعة بسبب تدريس العلامة يحيى المزوري ت١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م فيها وكان هذا أحد افذاذ عصرة علما وتدريسا حتى وصفه بعض من عاصره بأنه علامة أشهر من أن ينبه عليه وأجل من ان يعرف بالاشارة اليه وتولى التدريس في مدرستها العلمية علماء نابهون اكثرهم من أسرة سبق ان هاجر جدها الاول عبد الحميد من / بريفكان / واشتغلت بالعلم والتدريس ومن علماء هذة القرية العالم الحاج ملا احمد الاتروشي حفيد العلامة يحيى المزوري وتتلمذ على يديه فيها / جمع من طلبة العلوم / وقصده الطلاب من انحاء عديدة حتى صارت اتروش/ معهدا لممارسة العلوم/ وأعقبه في التدريس ابنه عبد الهادي الذي طار صيته بسبب علمه الغزير وحواشيه على المخطوطات الكثيرة في مختلف العلوم وقد درس فيها نحو خمسين سنه حتى وفاته سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م وصار جامع القرية – حيث كان يدرس كمدرسة تدرس فيها جميع العلوم وارقى الفنون العربية والبلاغة واللغة والمنطق والفلسفة والكلام وعلم الفلك والشريعة الاسلامية والحديث والسنة، ومحمد علي الاتروشي (ت ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م)، ومحمد أنور الاتروشي ولدا عبدالحميد المذكور. ومن علمائها ايضا عبدالله الاتروشي من أحفاد يحيى المزوري وكان عالما زاهدا توفي سنة (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م) ومحمد امين بن محمد سعيد الاتروشي (ت١٣٣٥هـ /١٩١٤م)وكانت له فيها تكية يدرس فيها العلوم الدينية والحديث والتفسير وعبد الرحمن بن محمد علي الاتروشي (ت١٣٦٨هـ /١٩٦٨م) وكان قد اشتغل بالتدريس فيها حينا وعبد الحميد بن عبد الرحمن الاتروشي وفد اخذ العلم على مدرسي قريته ثم ارتقى في الوظائف الشرعية حتى عين قاضٍ في بغداد. وممن نزلها من العلماء الشيخ العارف بالله نورالدين البريفكاني (١٢٠٤–١٢٦٧هـ/ ١٧٨٩–١٨٥٠م) حيث لبث فيها مدة من حياته بعد سنه ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م وملا محمود النهيلي (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) وكان قد قام بالتدريس في العلوم على اختلاف انواعها، ومما وصلنا من اثار هذه القرية العلمية كتاب في المنطق بخط محمد امين غير مؤرخ و(شرح المحرر للرافعي) بخط محمود أورامي بن ابي الغار سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٦م (شرح نظم الكافي) للبيتوشي سنة ١١٧٩هـ/ ١٦٧٤م وغير ذلك.

٥. مسجد بروشكى : قرية كبيرة ضمن عشيرة الدوسكي، تابعة لناحية مانكيش ضمن قضاء دهوك، كانت فيها مدرسة بناها, بجهود أهل القرية, ودرس فيها, الشيخ عبدالله أفندي البروشكي (ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)[٣٨], وكانت له تعليقات على على هوامش الكتب التي ضمتها مكتبة الأسرة, وأخواه الشيخ محمد البروشكي (ت قبل ١٣٣٩هـ/١٩٠٥م), والشيخ أحمد البروشكي (ت١٣٣٩هـ)[٣٩], ومما وصلنا من آثارها العلمية رسالة (حاشية الفناري) في المنطق, بخط أحمد بن ملا محمد سنة ١٣٠٥هـ/١٨٧٧م[٤٠].

٦. أيتوت (هيتوت): قرية كبيرة كانت تابعة لناحية زاويتة, في قضاء دهوك, أتخذها الشيخ المرشد نوالدين البريفكاني (١٢٠٤–١٢٦٧هـ/١٧٨٩–١٨٥٠م)مستقراً له, وموئلاً لنشاطه العلمي, نحو ثماني سنوات من حياته, وألف فيها كتاب (إبراز الدقائق) في شرح القصيدة الحائية سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م, و (البدور الجلية) سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م[٤١]. ومن مدرسيها المتأخرين الشيخ صالح الدركلي(ت ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م), أقام فيها مدرساً مدة من حياته[٤٢]. ومما تبقى من المخطوطات التي نسخت في هذه القرية كتاب (الظروف), بخط محمد أمين بن ملا محمد في مدرسة أيتوت سنة١٢١٢هـ/١٧٦٧م[٤٣].

٦. مسجد اسبندارى: ثمة عدة قرى بهذا الاسم، أبرزها قرية تقع ضمن ناحية جمانكى – بروارىزيرى) في قضاء العمادية، كان فيها مسجد يضم مدرسة دينية تخرج فيها العديد من العلماء، وقد تولى أهل القرية الانفاق على طلبة العلوم فيها. نسخ فيها عبد العزيز دولاني

٧. مسجد باطوفة: قرية تقع في منطقة الكلي في محافظة دهوك، ممن تولى التدريس في مدرستها الشيخ ضياء الدين (ت ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) وكان يعد من فضلاء عصره, أستقر فيها مدرساً مدة طويلة, بعد أن قضى الشطر الأول من حياته يدرس في القرى المختلفة في منطقتي الدوسكي والكلي[٤٤]. وكان "مرجعاً في الإفتاء"[٤٥].

٨. مسجد أرمشت: قرية قديمة واقعة خلف الجبل الابيض، في ناحية رزكاري التابعة لقضاء زاخو، عرفت في البلدانيات الاسلامية باسم (أردمشت). وكانت تعد في عهد امارة بهدينان من أعمال العمادية، لها قلعة تنتصب على احدى قمم الجبل الابيض، وتشرف على نهر الخابور، اشتهرت بمدرستها العلمية التي جددها في مفتتح القرن الحادي عشر للهجرة زبير باشا أمير بهدينان(١١١٣-١١٢٦هـ/١٧٠٢-١٧٠٤م)، ومن آثارها الخطية كتاب(شرح رسالة الاستعارات) لابراهيم بن محمد بن عصام الدين، بخط حسن علي آلماني مزوري" في قرية أرمشت عند أستاذه العلامة ملا طاهر في السنة التي توفي فيها الحاكم العادل سعيد خان بك سلطان العمادية، آه وألف آه على وفاته، فقد كان أباً رحيماً للطلاب والفقراء سنة١٠٤١هـ/١٦٣٢م"ومن تولى الخطابة والتدريس في مسجدها من المتأخرين الشيخ حسن الخوراني، الذي قدم الى القرية قادماً من جزيرة بوتان،حيث قام بتدريس مختلف العلوم وتوفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٦م.

٩. مسجد أرز: قلعة تقع على جبل متينا غربي ناحية بامرني. حكمها فرع من الأسرة العباسية الحاكمة في بهدينان(عاصمتها العمادية), ونبع من أدبائها أمير بكر الأرزي(١١٧٩- كان حياً سنة ١٢٢٠هـ/١٧٦٧-١٨٠٦م) وكان شاعراً مطبوعاً أرخ في بعض قصائده وقائع إمارة بهدينان في عصره, فضلاً عن أنه كان رساماً ومثالاً نابغاً[٤٦].

١٠. مسجد شعبانيه. لعلها قلعة الشعبانية الوقعة بقرب قرية باطوفا التابعة لناحية الكلي، من قضاء زاخو، وقد وردت الإشارة إليها في مصادر القرن الثامن للهجرة[٤٧]، وورد اسمها في آخر مخطوطة (فرائض منهج الطلاب) لزكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ/١٥٢٠م)، وكان ناسخها محمد خوشناو وإسماعيل صالح قد نسخاها "في مجلس درويش"، ولكنهما لم يذكرا تاريخ ذلك[٤٨]. وثمة مخطوطة سجل كاتبها حسين بن خالد السندي حوادث تاريخية متفرقة جرت في نواحي بهدينان الغربية آخرها مؤرخ في سنة ١٠٠٠هـ/١٥٩١م، وقد فرغ منها في قرية الشعبانية في عهد(الأمير..محييالعلم..السلطان العادل سيدي خان العباسي)[٤٩].

١١. مسجد شيلان: قرية تقع في ناحية الكلي في محافظة دهوك بالقرب من الحدود التركية, كانت فيها مدرسة, وقفنا على مخطوطة من آثار نشاطها العلمي بعنوان (خلاصة الحساب), كتبها علي بن محسن الشيلاني سنة ١١٢٤هـ/١٧١٣م[٥٠].

١٢.بريفكان: قرية تابعة إلى ناحية المزوري بقضاء الشيخان, في محافظة دهوكأنشأ فيها السلطان سيدي خان بن قباد بك العباسي, أمير بهدينان (حكم من ٩٩٣ إلى ١٠٣٩هـ/١٥٨٥ – ١٦٢٩م) مدرسة للشيخ شمس الدين قطب بن السيد عبدالكريم بن موسى الحسيني البريفكاني (ت ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) أحد كبار مشايخ الطريقة الخلوتية عهد ذاك. وقد تخرج في هذه المدرسة علماء نابهون, منهم الشيخ نورالدين البريفكاني (ت ١٢٦٨هـ/١٨٥١م), وكان هذا عالماً أديباً له مؤلفات مهمة في التصوف, دواوين شعر باللغات الثلاث: العربية والكردية والفارسية. وقد برز من أسرته علماء تولوا التدريس والإفتاء, والنشاط الثقافي بعامة, في بلدتهم, منهم العلامة الشيخ عبدالحميد بن الشيخ شمس الدين البريفكاني الأتروشي (ت١٣٠٥هـ/١٨٨٧م), ونور محمد بن عبدالقادر (ت١٣١٨هـ/١٩٠٠م), والشيخ عبدالقهار البريفكاني (ت ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)والشيخ طه البريفكاني (١٣٣٦هـ/١٩١٧م), والملا عبدالله الأتروشي (ت ١٣٣٨ – ١٩١٩م)[٥١], والشيخ ممدوح البريفكاني (ت ١٩٧٦م) وكان هذا عالماً أديباً شاعراً, معنياً بجمع المخطوطات المختلفة, وقد كون منها مكتبة نفيسة, كانت مقصد طلبة العلوم في بريفكان مدة[٥٢], ومن علمائها أيضاً الشيخ فاضل الشوشي (ت ١٣٢١هـ/١٩٠٣م) "وكان مدرساً في تكية البريفكان أمداً بعيداً من الزمن يقوم فيها بالتدريس وممارسة ومما العلوم أجمع"[٥٣]. ومما وقفنا عليه من الآثار العلمية في هذه القرية (رسالة بنان البيان) تأليف ابو بكر الميروستمي, كتبها "طه بن سيد عبدالله في قرية بريفكان في خدمة الأستاذ.. الشيخ محمد فاضل سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م[٥٤]

١٣. مسجد شوشى: قرية وقلعة تابعة لمركز قضاء عقرة، في محافظة دهوك، وكانت تعد في عهد المغول الإيلخانيين إحدى قواعد الإمارة المازنجانية، ثم سيطرت عليها قبيلة الزيبار، ومنها انتقلت إلى الإمارة البهدينانية، وعدت من أعمال العمادية، يحكمها أمراء من البيت البهديناني. من أعلامها في القرن العاشر للهجرة(السادس عشر للميلاد) الشيخ شمس الدين الشوشي الملقب بمرشد العصر[٥٥]، ومنهم أيضاً الشيخ يونس الشوشي، وأخوه عبد الله الشوشي[٥٦]، وعبدالرحمن شوشي، وقد عرف بشيخ الإسلام[٥٧]، وابنه إسلام، وكان" عالماً بارعاً ومؤلفاً جيداً ألف عدة كتب"[٥٨]، وطاهر الشوشي، وكان عالماً شاعراً أديباً، له كتاب في السيرة النبوية، وغيرهم. وسأكتفي بما ذكرته من المساجد خشية الاطالة .

المبحث الثالث : التكايا الصوفية في بهدينان

اذا كانت مدارس العلم تعمل على تهذيب العقول واصلاح النفوس وتوجيه الانسان الى عمل الفضيلة، فالدعوة الى الصوفية تولد في نفسه الجمود والكسل والخمول، وتوجد فيه روح التوكل والاستسلام فيكون نصف مشلول في حياته.ودعوى الصوفية تلاقي رواجا بين الأكراد لتحمسهم الشديد للدين وسرعة انقيادهم لما يلقى عليهم من دعايات لها الصبغة الدينية، والعالم بين الأكراد مهما بلغ من سعة العلم وذلاقة السان وقوة الاقناع، لا

يستطيع ان يستولي على شعور انسان بقدر ما يستولي صاحب طريقة على شعور ألوف الناس بإشارة خفية يلقيها عليهم . ولذلك فقد كان النجاح مضمونا للمشايخ في دعاواهم دون ما حاجة الى علم او تفقة في الدين غير اساليب يتقنونها ويتفاوت النجاح فيما بينهم بتفاوت الاتقان.و التكايا هي الاماكن التي كان يزاول فيها اصحاب الطرق الصوفية من المشايخ والمريدين مبادىء الطريقة، اذ كانت تنعقد اجتماعاتهم فيها، ويذكر صاحب كتاب (منهل الاولياء) انه كان التكايا فضل كبير في جمع شباب المنطقة، وحفظهم من عبث البطالة والجهالة، وتوجيههم للعبادات والطاعات ومكارم الاخلاق ومجالس الذكر والموعظة والارشاد وندوات الشعر والادب[٥٩]. وكان في كل تكيه أحد الشيوخ يرشد المريدين والناس الى الطريقة[٦٠].لقد كان هناك العديد من التكايا في باديناں منها ما ظهر في النصف الاول من القرن التاسع عشر، وخاصة المعنية بالطريقة النقشبندية، ومنها ما ظهر قبل عهد الامارة أو في عهودها الاولى واصبحت في زمن البحث مزارات مهمة يقصدها الناس للتبرك، الى جانب ممارسة شعائر الطريقة فيها أيضاً، الا ان هذه التكايا لم تكون ذات تأثير قوي كالتي ظهرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر، اذ يذكر صاحب كتاب (امارة بهدينان أو امارة العمادية): ان امراء باديناں لم يشجعوا التكايا في عهودهم الاولى، فلم تكن التكايا سوى مكان يتعبد فيه صوفي في زاويته وله مريدون يقومون بخدمته، ولما كثر الاقبال على هؤلاء الدعاة وكثر مريدهم، اسسوا مزيداً من التكايا، فبرزت مكانتهم المرموقة[٦١]. زمن أهم التكايا في باديناں ضمن مدة البحث والتي كانت لها نفوذ كبير ما يأتي:قامت في بهدينان ثلاث تكايا للصوفية : الأولى : تكية (بريفكان) للقادرية[٦٢] والثانية تكية (بامرني) للنقشبندية،[٦٣] والثالثة تكية (بارزان). وهذه التكايا لم تظهرإلا حوالي منتصف القرن الثالث عشر الهجري ولم تكن معروفة على عهد البهدينانيين، والبهدينانيون لم يشجعوها في عهد إمارتهم ، وسنتكلم عن كل واحدة منهم باختصار :

اولاً: تكية بريفكان القادرية : أول من قام بها رجل عرف بالصلاح والدين اسمه (الشيخ نورالدين) [٦٤] وهو من أسرة يرجع نسبها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفدت من مدينة (اخلاط) في كردستان تركيا، جدها يدعى (الشيخ شمس الدين قطب) الذي لا يعرف عنه شيئاً عن حقيقته او سيرته، ولا عن الأسباب التي دعته الى هذه الهجرة البعيدة، ولا ماذا جعله يختار سكني هذه البعقة ، كان له اولاد خمسة ، كبيرهم (الشيخ زين العابدين) الذي ظهر من صلبه (الشيخ نورالدين)، قام هذا الرجل بدعوة دينية واسعة في جبال عشيرة المزوري وتبعه الناس وأحسنوا الظن به، ورووا عنه كرامات و خوارق وآيات لا يستسيغها العقل، والذي نعرفه عنه انه أوجد في مريديه روحا ملتهبة أوصلتهم درجة التفاني في سبيله، ووضع نظما خاصة لنشر الطريقة وأقام له خلفاء في كثير من الأماكن حتى في مدينة الموصل والذي نعتقد فيه انه كان بعيداً عن النزاعات النفسية التي نجدها عند بعض اصحاب الدعوات نستدل على ذلك اعتداله في طريقة وسلوكه الذي لم يطعن به، وإلا بعد ان نال هذا الاقبال وهذه المكانة لكان لطريقته خطر عظيم على المجتمع في أقل انحراف يبدو منه.بقي (الشيخ نورالدين) دائباً على الارشاد في (بريفكان) نحو اربعين سنة ثم توفي سنة (١٢٦٣هـ /١٨٤٧م) وبوفاته، وذهاب خلفائه بعده خمدت تلك الجذوة التي أشعلها في النفوس، إلا أن أحفاده لم يشاؤوا ان يضيعوا هذا (التراث) الذي تركه عميدهم فانتشروا في كثير من أصقاع بهدينان وأقاموا التكايا وتصدوا الارشاد فمنهم من ظهر. بمنظر السيادة ومنهم من ادعى الولاية، ومنهم من سلك طريق الشقاوة حتى أصبحت بريفكان زمناً مأوى للشقاوة والطغيان واستبدوا بالناس واحتالوا عليهم بأخذ أموالهم وعقاراتهم باسم الطريقة والدين فأثروا على حسابهم والناس لا يزالون يحملون لهم حرمة ورعاية باعتبارهم سادات من أبناء الرسول وأحفاد (الشيخ نورالدين) وستحافظ تكية بريفكان على مكانتها في قلوب اللأكراد طالما ظلت القبة المخروطية قائمة فوقها!

ثانياً: تكية بامرنيالنقشبندية : في سنة ١٨٧٣م بنى الشيخ محمد بن الشيخ طاهر النقشبندي تكية بامرني، واتخذها مركزاً للدعوة والارشاد ونشر الطريقة النقشبندية في منطقة بهدينان وأطرافها، وهو في الاصل من أهالي قرية بنستان التابعة لناحية (النيروهوريكان)، تلقي الطريقة النقشبندية من الشيخ خالد النقشبندي[٦٥] عند مروره من هذه الجبال في طريقه الى قرية (نهري) حيث أقام هناك تكية للنقشبندية ونصب (الشيخ عبيدالله النهري) خليفة له.والطرق التصوفية لم يكن لها اذ ذاك تنظيمات وتشكيلات وتكايا وزوايا و (خانقاهات) كما صار لها أخيراً، وصاحب الطريقة لم يكن اكثر من صوفي يتعبدالله في صومعته او زاويته وله مريدون بضعة يقومون بخدمته. ولما كثر الاقبال على الدعاة الصوفية وكثر مريدوهم أسسوا التكايا وتظاهروا بالأبهة واتسع نفوذهم وعظمت مكانتهم ونالهم الجاه. أما بيت(شيخ بامرني) فقد عرفوا بحسن السلوك والسيرة والصلاح ولم يظهر منهم ما يسيء سمعتهم أكان على زمن الشيخ طاهر ام ابنه (الشيخ محمد) ام الشيخ (بهاءالدين) الذي دامت مشيخته نحو ستين عاما. وما كان هذا البيت ليعمل للدين وحده بل مال الى الرئاسة وأصبح له نفوذ قوي بين الأكراد وفي الاوساط الحكومية، وكانت الحكومة ترفع من شأنه و تستفيد من نفوذه الديني في حل كثير من المشاكل الإدارية التي تستعصي عليها، فظلت تطمئن اليه وظل يطمئن اليها الى حد بعيد امتد الى زماننا هذا. والشيخ بهاءالدين كان همه مكافحة الشرور والقضاء على اعمال العدوان والدعوة الى السلم!ان سبل الدعوة عند النقشبندية أكثر بساطة مما هي عند بقية الطرق، ودعوى الكشف والظهور والتصرف لا توجد عندهم والطرائق الصوفية اذا كان من شأنها اماته روح العزة

والكرامة وحب الذات في الانسان وتجعله يشعر بحيوية نحو نفسه، ويرى مرشده من السمو والرفعة. بمكانة لا يرتقى اليها فهذا لا نجده في هذا البيت ويمكنني ان أعبر عن طريقتهم بانها صوفية ارستوقراطية تبدو آثار النبل عليهم في أعمالهم التقليدية و التعبدية. والطرق التصوفية أكانت نقشبندية ام غيرها لا تثبت لها مكانة راسخة ما لم تضف الى زعامتها الدينية زعامة زمنية والا ضعف شأنهاكانت الدولة العثمانية تنظر الى التكايا الصوفية والى رجال التصوف بعين الريبة والحذر وترى فيهم الخطر كل الخطر[٦٦]، ومن أين انبثقت الدولة (الصفوية) أليس من زاوية (الشيخ صفي الدين الأردني) في أردبيل ؟[٦٧] , وما يدرينا ان (العدوية) الأموية لو لم تندحر امام الشيعية التي كان يقودها (بدرالدين لؤلؤ) لما كان لها دولة ذات شأن في التاريخ؟ ولهذا نجد هذه الدولة عندما عزمت على الاصلاحات في المملكة بعد اعلان (التنظيمات الخيرية) وأخذت بعروشهم كانت ترى في العلماء ورجال الطرائق اقطاعيين دينيين وشملت اجراءآتها قسما منهم، فقد أمر السلطان محمود الثاني المتوفى سنة ١٨٣٩م بقتل جماعة من العلماء والدراويش أصحاب التكايا في حادثة القضاء على الانكشارية (= الينجرية) في أستانبول وأراد أن يجرى هذه العملية في الخارج فكان بعد أن تم (لمحمد باشا اينجه بيرقدار) والي الموصل اجراءآته في الموصل وتلعفر وسنجار وفتح العمادية وكانت قد أستعصت عليه ونكل بالأكراد، كان يرى لأصحاب الطرائق عروشاً يجب تحطيمها ودعا اليه (الشيخ طاهر النقشبندي) صاحب تكية بامرني و (الشيخ نورالدين) صاحب تكية بريفكان وهو في قرية (كرعرب) الواقعة على نهر الخازر يقطع رؤوس زعماء الينيجريةوأغوات الأكراد – وفيهم علي بك أمير اليزيدية الذي نجا من مذبحة أمير رواندوز– و يلقيهم في نهر الخازر دعا اليه الشيخين و أراد أن يلحقهما بالآخرين ولكنه لأمر ما عفي عنهما.

ثالثاً: تكية بارزان النقشبندية : تأسست هذه التكية في قرية بارزان سنة ١٨٢٥م، ومؤسسها هو الشيخ عبدالله البارزاني الملقب ب(تاج الدين)، وهو ابن ملا بكر بن ملا عثمان بن ملا طاهر[٦٨]، وكان الشيخ خالد النقشبندي قد أعطى للشيخ تاج الدين الطريقة وجعله خليفة له عند مروره من بارزان الى نهري في كوردستان أيران، وقد كان والد تاج الدين قد استقر أولاً في قرية بازى أحدى قرى منطقة به روش، وكان له تكية فيها، الا ان تاج الدين أنشأ له تكية خاصة في قرية بارزان، بعد ان اتخذ النقشبندية طريقة له، لذا توسع نفوذ المشيخة كثيراً منذ عهده[٦٩].لقد عرف الشيخ تاج الدين الذي يعد رأس عائلة الشيوخ في بارزان بالعلم والفضل والصلاح والمكانة المرموقة، فكان من أسرة عريفة فب الزيبار وصالحاً تقياً متضلعاً في كثير من العلوم، وخلفه من بعده ابنه الشيخ عبدالسلام الاول الذي لم يكن يقل عن والده في مكانته المرموقة لدى الناس[٧٠].

المؤسسات التعليمية (المدارس، المكبات)

الخاتمة

نلخص ماتوصلنا اليه من النتائج بما يلي :

١ _ كانت للامراءالبهدينانيين اهتمام كبير بانشاء المساجد والمدارس ودور العلم والمكتبات، ووقف الاموال عليها.

٢ _كانت مدرسة قبهان تعد إحدى ركائز العلم والثقافة في الامارة، وكان لها دور لا يستهان به في تطوير الامارة من النواحي العلمية والثقافية، بالاضافة الى أنها كانت مصدر إشعاع القى بظلاله على المناطق المجاورة، وبسب ذلك نشأت علاقات علمية بينها وبين مشيخة الازهر الشريف في مصر.

٣ _ كان الامراء البهدينانيون يتقربون الى علماء الدين الاسلامي، لذا كانت تحدث بين الفينة والاخرى صراعات ومنافسات بين هؤلاء والعلماء؛ حتى وصل الامر الى قتل بعض العلماء ونفي آخرين مثل العلامة الكبير (ملا يحيى المزوري) ولولا مكانته الاعتبارية لكان قد قتل.

٤: المساجد التي ذكرناها هي اهم المساجد التي تخرج منها علماء بادينان .

٥: ان للتكايا الصوفية دور كبير في نشر الفضيلة والأخلاق والزهد والتصوف الحقيقي في كردستان .

٦: ان من مميزات علماء بادينان ان يسير أولادهم واحفادهم على منهج ابائهم واجدادهم ،فيرثون العمل من اسلافهم

٧: ان الذي نراه اليوم سواء من التعصب المذهبي او الانحرافات والخرافات والمخالفات الموجودة عند بعض الطرق الصوفية لم تكن موجودة سابقا ولايقبل بها علماء بادينان الذين ذكرتهم .

المصادر والمراجع

١– العباسي / محفوظ محمد عمر/ امارة بهدينان العباسية/ مطبعة الجمهورية/ الموصل/ ١٩٤٧.

٢–الدملوجي / صديق/ امارة بهدينان الكردية او امارة العمادية/ الاتحاد / الموصل/ ١٩٥٢.

٣–العمري / محمد امين بن خير الله الخطيب/ منهل الاولياء ومشرب سادات الموصل الحدباء/ حققه ونشره : الدويجي/ الجمهورية/ الموصل/ ١٩٦٧.

٤–القرداغي /محمد علي / وثائق عن قبهان وادبرة وكنائس بهدينان/ جريدة العراق م العدد ٥٩٤٧/ القسم الاول/ كانون الثاني / ١٩٩٦/ والعدد ٥٩٤٨/ القسم الثاني/ شباط ١٩٩٦.

٥-الدوسكي / تحسين/ كيف انتشر المذهب الشافعي بين الكوردم مدارات كورد.
٦-البدليسي/ شرفخان بن شمس الدين/ الشرفنامة في تاريخ الدول والامارات الكردية / ترجمة ملا جميل بندي روذبيانب/ مطبعة النجاح بغداد/ ١٩٥٣.
٧- يوسف/ عبدالرقيب/ ثةرستطاى زةردةشتى. روذنامةى ريَطاى كوردستان، ذمارة١٧٧، تشرينى يةكةم١٩٩٥.
٨- رديني، وصفي حسن/ التراث الثقافي في بهدينان. مجلة شمس كردستان، عدد٦٧، حزيران ١٩٨٤.
٩- البريفكاني/ الدهوكي ملا محمد سعيد ياسين/ فضلاء بهدينان. اعداد مسعود محمد ياسين، مطبعة خبات، دهوك،١٩٩٧
١٠- المائي / الفردوس المجهول/
١١- المدرس/ عبدالكريم محمد / علماؤنا فيلاخدمة العلم والدين/ الناشر محمد علي القراداغي/ ط١/ دار الحرية/ بغداد/ ١٩٨٣.
١٢_البريفكاني/ محمد سعيد ياسين/ فضلاء بهدينان/ اعداد مسعود محمد ياسين/ مطبعة خبات/ دهوك/ ١٩٩٧.
١٣_الضلبي/ داود / مخطوطات الموصل/ مطبعة الفرات/ بغداد/ ١٩٢٧.
١٤_ العمري/ محمد أمين: منهل الأولياء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٨
١٥_ العمري/ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، مخطوط مصور، أصدره فؤاد سزكين، ج٣
١٦- الكزني/ محمد أحمد: الشيخ نورالدين البريفكاني، القاهرة ١٩٨٣
١٧_ حسين/ محمد زكي / إسهام علماء كوردستان العراق في الثقافة الإسلامية, أربيل ١٩٩٩م.
١٨_ عباس العزاوي، خلفاء مولانا خالد، مجلة المجمع العلمي الكوردي، ج٢، العدد الثاني، ١٩٧٤،

هوامش البحث

[١]- تحسين دوسكي: كيف انتشر المذهب الشافعي بين الكرد، مدارات كرد

[٢]- تحسين دوسكي:المرجع نفسه.

[٣]- (م- س)، ص ١٣٩؛ وينظر أيضاً: العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٥.

[٤]- المصدر السابق، ص١٠٩.

[٥]- المائي، الفردوس المجهول، ص٣٣.

[٦]- المائي، اكراد بهدينان، ص ص١٨٥- ١٨٦؛ العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٦.

[٧]- للاستزادة يراجع – القراداغي، (م- س)، عدد ٥٩٤٧، كانون الثاني، ص٣.

[٨]- المائي، الفردوس المجهول، ص ٣٤، وينظر: ملحق رقم١١.

[٩]- وللزيادة عن تفاصيل ذلك يراجع – عبدالرقيب يوسف، له كةلةثورى بةلَطةنامةى كوردى، طوظارى روَشنبيرى نوىَ، ذمارة (١١٧)، ص ٢٦٧ وما بعدها. وفيما بعد يوسف، لة كةلةثورى كوردى.

[١٠]- القراداغي، (م- س)، ص٣.

[١١]- المصدر السابق.

[١٢]- القراداغي، ، وثائق عن قبهان وادبرة وكنائس بهدينان ص٣.

[١٣]- المائي، الفردوس المجهول ص٣٢.

[١٤]- للزيادة يراجع- المائي، الفردوس المجهول، ص٣٤: اكراد بهدينان، ص١٨٩، محمد سعيد البريفكاني، (م- س)، ص١٨.

[١٥]- العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٦.

[١٦]- المائي، اكراد بهدينان، ص١٨٦.

[١٧]- مصدر سابق.

[١٨]- يحيى، سقوط امارة بهدينان، عدد ١٤١، ص ١٥٢.

[١٩]- عباس العزاوي، خلفاء مولانا خالد، مجلة المجمع العلمي الكوردي، ج٢، العدد الثاني، ١٩٧٤، ص٢٠٢.

[٢٠]- العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٧.

[٢١]- المصدر السايق.

[٢٢]- المائي، اكراد بهدينان، ص١٨٦.

[٢٣]- العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٧.

[٢٤]- وصفي حسن رديني، من آثار مدينة العمادية، مجلة الحكم الذاتي، عدد٤، السنة الثامنة، ١٩٨٤، ص١٣.

[٢٥]- الجلبي، (م- س)، ص٥٤٨.

[٢٦]- المائي، الفردوس المجهول، ص٩٠ وما بعدها.

[٢٧]- المصدر السابق.

[٢٨]- العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٩.

[٢٩]- وصفي حسن رديني، التراث الثقافي في بهدينان، . مجلة شمس كردستان، عدد٦٧، حزيران ١٩٨٤، ص١٠.

[٣٠]- الدملوجي، امارة بهدينان، ص٥٩؛ المائي، اكراد بهدينان، ص ١٨٦

[٣١]- محمد سعيد البريفكاني، فضائل بهدينان،ص٢٣-٢٤.

[٣٢]- مخطوطات الموصل ج٥ ص٥٧،

[٣٣]- المائي، ص١٩١.

[٣٤]- فضلاء بهدينان ص١٦ .

[٣٥]- فضلاء بهدينان ص٩٧.

[٣٦]- فضلاء بهدينان، ص ١٦.

[٣٧]- المصدر نفسه، ص ٤١.

[٣٨]- المائي ص١٨٦.

[٣٩]- فضلاء بهدينان ص ١٩.

[٤٠]- في المركز الوطني للمخطوطات. قره داغي ج٤ ص١٥.

[٤١]- الكزني, محمد أحمد: الشيخ نورالدين البريفكاني، القاهرة ١٩٨٣, ص ٧-٥٤ و محمد زكي حسين: إسهام علماء كوردستان العراق في الثقافة الإسلامية, أربيل ١٩٩٩م ص ٣١٨.

[٤٢]- فضلاء بهدينان ص ٢٤.

[٤٣]- في المركز الوطني للمخطوطات ببغداد, قره داغي ج ٢ ص١٣.

[٤٤]- فضلاء بهدينان ص ٩١.

[٤٥]- المصدر نفسه ص ١٨٤.

[٤٦]- المائي ص٢٣٦.

[٤٧]- العمري، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، مخطوط مصور، أصدره فؤاد سزكين، ج٣ ص٣٦٣.

[٤٨]- المصدر نفسه

[٤٩]- في مكتبة السيد أحمد البغدادي الشخصية في بغداد.

[٥٠]- وقفنا عليها في مكتبة شخصية لبعض الفضلاء في الموصل.

[٥١]- فضلاء بهدينان ص ٢٢.

[٥٢]- ينظر: المائي ص٨٢ والعباسي: مصدر سابق ص ١٥٩, وينظر الكزني, محمد أحمد: الشيخ نورالدين البريفكاني, ص٤٦ , وفضلاء بهدينان ص٨٥.

[٥٣]- فضلاء بهدينان ص ٣٤.

[٥٤]- المرجع نفسه، ص٣٤.

[٥٥]- علماؤنا ص٣٠٣.

[٥٦]- العمري، محمد أمين: منهل الأولياء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٨، ج١ ص٢١١، ومحفوظ ص ١٧٠.

[٥٧]- كما ورد في مخطوطة في المركز الوطني للمخطوطات. قره داغي ج٣ ص١٩٢.

[٥٨]- الكزني، محمد أحمد: الشيخ نور الدين البريفكاني ص٢٦.

[٥٩]- امين العمري، ج١، ص ص١٤-١٥.

[٦٠]- العمري، منية الادباء، ص١٤.

[٦١]- الدملوجي، ص٦١.

[٦٢]- نسبة الى مؤسسها الشيخ عبدالقار الكيلاني(ت ١١٦٥ م).

[٦٣]- نسبة الى مؤسسها بهاءالدين محمد بن محمد المشهور بالنقشبندية واللقب بالبخاري، ولد سنة ١٣١٧ في مدينة بخاريفي آسيا الوسطى.

[٦٤]- المقصود الشيخ نورالدين البريفكاني ، من اعلام الطريقة القادرية ولد سنة ١٧٩٠ وتوفي سنة ١٨٥١ .

[٦٥]- هو ضياءالدين ابو البهاء خالد بن حسين الشهرزوري الشافعي مجدد الطريقة النقشبندية في العراق ويعرف ب (مولانا خالد) توفي سنة ١٨٢٧م بدمشق.

[٦٦]- لا نتفق مع الدملوجي في تقييمه لموقف الدولة العثمانية من الطرق الصوفية. وقوله بأنها كانت تنظر الى رجال التصوف((بعين الريبة والحذر وترى فيهم الخطر كل الخطر)) ذلك ان صلة العثمانيين بالطرق الصوفية ترجع الى فترة مبكرة من تأريخ قيام دولتهم. كما أن العثمانيين قدموا الرعاية للطرق الصوفية لدوافع سياسة أيضاً. فعلى سبيل المثال ان الدولة العثمانيية شجعت الطرق الصوفية في العراق في القرن التاسع عشر في مواجهة انتشار الوهابية أولاً, ولكسب التأييد للعثمانيين ثانياً، وقد اهتم العثمانييون بالمراقد والمشاهد الدينية، وقربوا أرباب الطرق الصوفية اليهم، غير انه تجدر الاشارة الى ان السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) أتخذ اجراءات ضد البكتاشية بعد قيامه بالقضاء على الانكشارية سنة١٨٢٦ وذلك يسبب الصلة الوثيقة القائمة بين الانكشارية والطريقة البكتاشية.

[٦٧]- اردبيل مدينة تقع في اقليم أذربيجان شمال غرب ايران.

[٦٨]- العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٣.

[٦٩]- الدملوجي، امارة بهدينان، ص٦٥؛.

[٧٠]- العباسي، امارة بهدينان العباسية، ص١٥٤؛